قصيدتان إلى بغداد

. حسن فتح الباب .

وحدك يا عراق

أصابعُ الشيطان
بدايةٌ لما سيكْشف الستار
من وجهه الرجيم
ومشهدِ الجحيم.

❖ ❖

وانتصب الشهود
صفّاً وراء صفّ،
شعبًا حطامَ شعب،
وجوقة من المهرجين
يَرثُون صرعى المذبحه
يبكون أو يضَّاحكون
على الضحايا الأبرياء
على اقتتالِ الغرماء
على مصائرِ الشياهِ والذئاب
ما بين أيدي المجرمين
والسادرين التعساء
والغانمين الأشقياء.

❖ ❖

الأمهاتُ قد حُرِمْنَ من دموع
والطفلُ لا حليب
والشيخُ لا دثار.
اليوم صارت الدموع
بحراً من الدماء
وأصبح الحليب
سيلاً من الدخان.. والدثارْ
قنابلاً تفجِّر الديارْ.
اليومَ لا همس ولا صراخ
عمَّ سلامُ المقبره
للشاربين من دمائنا
المرجفين الفَجَره.
اليوم لا جنٌّ ولا ملائكه
على ربوع الرافدينْ
تناسخ البشر.

❖ ❖

العُرْبُ لا تَصْلح إن تَسُسْ أمورَها
قيادةٌ من البقر
رُبَّانُها القرصان
حليفُها الشيطان.
ولا قيامةً لمن قد أسْلموا
زمامَهم لشرِّ مَنْ حَكَموا،
النارُ والحديدُ شرعتُهم
والظلمُ والظلامُ والنقمُ،
لا سيفَ يَشْهرونَه ولا قلمُ
إلاّ على مستضعَفين
يرعاهم السَّقَمُ
تنعاهم الأُمَمُ.
ويلاه يا عراق!
وحدك يا عراق!

السيّاب يعود إلى بغداد

هل يرْجع السيَّابُ من جيكور[1]
مضمَّخَ الثياب
بالغارِ والريحان
ونضْرةِ الورود

مكلَّلاً بآية القصيد

مشتملاً ببُردة النشيد

وراية الخلود؟

أم يَرْجع الشادي الشريد

يصيح: «يا خليج!»

ويَشْهد انطفاءةَ السِّراج

مسرحَ الطغاه

ومصرعَ العُناه

في قبضة الشيطان؟

الشاعر الغرِّيد

يجترح العذابَ مرتيْن:

فمرةً يومَ اكتوى بالنارِ

من تناحُرِ الأضداد،

ومرةً حين ارتمى الجراد

على ربى بغداد

ليأكُلَ الأخضرَ واليباب

من بعد عشرٍ

من سنين مُرَّةٍ عجاف

وبُقْيةٍ من بقراتِ نهرِها السِّمان.

❖ ❖

هل يَرْجع السيّاب نازفًا مراثيَه

للحبّ.. للحرّية العذراء..

لشعبِه الحزين

يسأله: هل يحتمي

بقدرة النهريْن

أين يَقْهرا الغازي الحقود

الراعيَ القديمَ للبقر

ويَرفعا الرايةَ في الموانئ المنوَّره:

الموصلِ المعطاءِ، والبصره،

دجلة والفرات،

مَغنى الجواهري،

مَجْلى أبي علي،[٢]

مثابِ إخوانِ الصفا،

حلمِ الميامين الأُباه

مشتّتي شَمْلِ القياصره

ممزّقي الأكاسره؟

❖ ❖

بغدادُ يا منارةَ الرشيد

من تحت كلّ نخلةٍ

يولَد شاعرٌ حكيم:

المتنبيّ العبقريُّ العليّ،

أبو نواسَ الألمعيّ،

وشاعرُ الوجد الرَّضيّ.

يا حسرتا أن توأَدَ الأطيارُ والأزهار

وتَنْضبَ الأنهارُ، أن تُسمَّمَ الآبار،

يا ويلتا أن يُصْلبَ المسيحُ مرتين

في القدسِ... في بغداد

على محارق الخليج

ويصرخ السيّاب:

كم من شريدٍ أو شهيدٍ في العراق!

ويلاه يا بغداد

ويلاه يا بغداد!

القاهرة

١ ـ جيكور. بلدة الشاعر بدر شاكر السيّاب.

٢ ـ أبو علي: عبد الوهّاب البياتي.